التربية الأمنية وتطبيقاتها
في السيرة النبوية ما قبل الهجرة

إعـــــداد

د/ مسلم عبدالقادر أحمد مضوي

أستاذ أصول التربية المشارك بكلية التربية

جامعة الجزيرة (السودان)

التربية الأمنية وتطبيقاتها في السيرة النبوية ما قبل الهجرة

د/ مسلم عبدالقادر أحمد مضوي *

المقدمة:

تعتبر شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم القدوة والأسوة الحسنة الصالحة للمسلمين والمجتمع الإسلامي في كل وزمان ومكان، تصديقاً لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (سورة الأحزاب الآية ٢١)، فسيرته صلى الله عليه وسلم كتاب مفتوح فيه كل نشاطاته وأحواله العامة والخاصة، فلم يَخفِ شيئاً أمره الله بتبليغه وقوله وفعله، وتولى أصحابه الكرام رضوان الله عليهم بيان وعكس هذه السيرة بكل شفافية وصدق وموضوعية.

إنَّ من الأمور والأحوال التي ينبغي الوقوف عندها والأخذ بها من سيرته صلى الله عليه وسلم التربية الأمنية والتي سعى بكل ما أوتي من قوة وجهد أن يربى عليها أصحابه الكرام في حياته، ومع أنَّه صلى الله عليه وسلم بشر يُوحي الله تعالى إليه، إلا أنَّه أخذ بالأسباب ليكون في ذلك التدريب، والتمرين لمن هم حوله ومن يأتون من بعدهم، ليواصلوا مسيرة الدعوة إلى توحيد الله تعالى، ونشر الإسلام في كل بقاع الأرض ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

لقد سعى الرسول صلى الله عليه وسلم لتربية أصحابه رضي الله عنهم، في كل جوانب شخصياتهم ليصل بهم إلى التربية الشاملة والمتكاملة والمتوازنة، التي تعينهم في أداء واجبات الدعوة للإسلام، ومن تلك الجوانب الجانب الأمني.

أصبح الأمن بمفهومه الشامل مطلباً أساسياً وأولوية قصوى، لكل الأمم والشعوب والمجتمعات، حتى ساد ما أصطلح عليه (الأمن مسؤولية الجميع)، شعاراً لكل منظمات المجتمع الرسمية وغير الرسمية، ومعلوم أنَّ جميع أنشطة الإنسان وسير حياته بصورة طبيعية تتوقف بدرجة أساسية على توفر الأمن، ونادي كثير من المختصين بالأمن الشامل أو الأمن التكاملي الذي تتسع فيه المنظومة الأمنية لتتضمن كل أمن المواطن، وراحته واستقراره، واستلزم ذلك اتساع

* **د/ مسلم عبدالقادر أحمد مضوي:** أستاذ أصول التربية المشارك بكلية التربية– جامعة الجزيرة (السودان).

نطاق المسؤولية الأمنية (فالأجهزة الأمنية وحدها المسؤولية عن الحفاظ على أمن المجتمع ومكتسباته – وإن كان يقع عليها الجزء الأكبر من المسؤولية – بل أصبحت جميع مؤسسات المجتمع مسؤولة عن تحقيق الأمن الوطني وتعزيزه). (المنشاوي، ١٤٢٧، ٢).

ظهرت الحاجة الملحة لدور مؤسسات التربية والتعليم الرسمية وغير الرسمية بصورة كبيرة في إشاعة وبث الثقافة الأمنية، ومع نظرة المجتمعات الحديثة إلى التربية الرسمية على أنها مؤسسات تعليمية ذات وظيفة اجتماعية تقوم على خدمة المجتمع، وإشباع احتياجاته، برز الاهتمام بتطوير القدرات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية لتحقيق هذا المطلب.

تتضح الحاجة إلى التربية الأمنية من خلال كون التربية والأمن يشكلان حاجات فطرية أساسية للإنسان للأسباب الآتية: (السلطان، ١٤٢٤، ٣)

١ / إنَّ الإنسان مدني بطبعه فهو بحاجة إلى العلاقات الاجتماعية التي لا تستقيم دون التربية والأمن معاً .

٢ / إنَّ الإنسان قابل للخير والشر، لذا يحتاج دائماً إلى التوجيه بأساليب ووسائل مختلفة، عبر مؤسسات التنشئة الاجتماعية وهذه لا تتحقق إلا التربية والأمن معاً.

٣ / إنَّ سلامة الجنس البشري متوقفة على عدة عوامل، منها الحاجة إلى الألفة والطمأنينة والسكينة وهذه لا تتحقق إلا بالتربية والأمن معاً.

مشكلة الدراسة:

يحتاج الفرد كما يحتاج المجتمع للأمن، على اعتبار أن أهدافهما معاً لن تتحقق إلا من خلال الشعور بالأمن، والذي بواسطته كذلك يتحقق التقدم في كافة جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، لذا تسعى المجتمعات في مختلف العصور على اختلاف معتقداتها إلى توفير الأمن، ولا تكتفي في ذلك بالإجراءات التقليدية، بل تتعداها إلى إعداد الإنسان ليكون هو الضامن للأمن بحيث يستطيع تحقيقه لنفسه ولغيره في جميع الأحوال والظروف.

أصبح مفهوم التربية الأمنية شائعاً ومطبقاً في كثير من دول العالم مما قاد إلى ظهور تجارب وإجراءات عملية هدفت إلى جعل هذا المفهوم سائداً بصورة واضحة في كل مجالات الحياة في تلك المجتمعات، وحري بالمجتمعات الإسلامية

إن أرادت تطبيق هذا المفهوم أن تستدعيه من سيرة معلمها ومرشدها الرسول صلى الله عليه وسلم.

على الرغم مما يحققه تطبيق مفهوم التربية الأمنية في حياة المجتمع الإسلامي إلا أن تحويلها إلى برنامج عمل تفصيلي واضح المعالم يحتاج إلى خطة متكاملة تشمل الأهداف والمحتوى والوسائل والآليات المساعدة في التنفيذ، ومما سبق يمكن صياغة مشكلة البحث في السؤال الرئيس الآتي: ما التربية الأمنية وتطبيقاتها في السيرة النبوية في فترة ما قبل الهجرة؟

أسئلة الدراسة:

تجيب هذه الدراسة عن سؤالها الرئيس من خلال الإجابة عن الأسئلة الفرعية الآتية:

١ / ما مفهوم التربية الأمنية في السيرة النبوية في فترة ما قبل الهجرة؟
٢ / ما تطبيقات التربية الأمنية في بداية الدعوة؟
٣ / ما تطبيقات التربية الأمنية في فترة الدعوة الجهرية في داخل مكة؟
٤ / ما تطبيقات التربية الأمنية في فترة الهجرة إلى الحبشة؟
٥ / ما تطبيقات التربية الأمنية في الهجرة إلى المدينة؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

١/ تعرف مفهوم التربية الأمنية في السيرة النبوية في فترة ما قبل الهجرة.
٢/ تعرف تطبيقات التربية الأمنية في السيرة النبوية قبل الهجرة.
٣/ بيان ما تمتع به الرسول صلى الله عليه وسلم من حس أمني رفيع أسهم في تبليغ دعوة الإسلام.
٤/ إظهار ما تمتع به الصحابة رضي الله عنهم من حس أمني أسهم في تأمين ونشر الدعوة الإسلامية في عهدها الأول.
٥/ بيان تفوق الإسلام في تطبيق مفهوم الأمن الشامل منذ بداية البعثة النبوية.

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة من الموضوع الذي تتناوله، حيث أصبحت التربية الأمنية مطلباً حيوياً في حياة الناس، كما تبرز أهمية هذه الدراسة في الآتي:

١/ يؤمل أن تسهم هذه الدراسة في توضيح مفهوم التربية الأمنية وتطبيقاتها في السيرة النبوية قبل الهجرة.

٢/ يتوقع أن يستفيد من هذه الدراسة الأفراد والجماعات والمؤسسات ذات الصلة بالتربية الأمنية.

٣ / يمكن لهذه الدراسة أن تشجع باحثين آخرين في المجال التربوي لإجراء دراسات أخرى في موضوع التربية الأمنية في السيرة النبوية خاصة والإسلام عامة.

٤ / ندرة الدراسات التربوية – حسب علم الباحث – حول موضوع التربية الأمنية في السيرة النبوية الشريفة.

منهج الدراسة:

تستخدم هذه الدراسة المنهج الوصفي وذلك من خلال تحليل ما اتخذه الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام رضوان الله عليهم من الإجراءات والإحترازات ومضامينها التربوية التي أسهمت في نشر دعوة الإسلام قبل الهجرة.

مصطلحات الدراسة:

١/ **الأمن:** هي من الكلمات (ذات الدلالة المباشرة الواضحة، إذ تعرف حقيقته عند النطق به، ولكن شدة وضوحه، وكثرة استخدامه، وكثرة تعريفاته، واشتقاقاته، أضفت عليه شيئاً من الغموض). (الزهراني، ١٤٢٤، ٣). ومن أهم معانيه اللغوية: أمناً وأمانة وأمنة اطمأن ولم يخف فهو آمن، وأمن فلان على كذا وثق به واطمأن إليه، أي جعله أميناً عليه.(ابن منظور، ١٩٩٥).وعموماً يعني الأمن، عدم الخوف، والحفظ، والطمأنينة، والثقة.

٢/ **التربية الأمنية:** هي كل التوجيهات والإجراءات والمطلوبات التي قادت إلى توفير الطمأنينة وهدوء النفس وعدم الخوف، والأمن بمفهومه الشامل مما مكَّن من نشر الإسلام في مكة قبل الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة.

٣/ **التطبيقات:** مفردها تطبيق، ويعني جعل الشئ مطابقاً له بحيث يصدق عليه.

٤/ **التطبيقات التربوية:** هي كل الإجراءات العملية في الجانب الأمني والتي طُبقت في السيرة النبوية قبل الهجرة النبوية.

حدود البحث:

الحدود الموضوعية: وتتمثل في تناول التربية الأمنية وتطبيقاتها في السيرة النبوية قبل الهجرة بالاستناد إلى مصادر التربية الإسلامية الأصلية والفرعية.

الحدود الزمنية: السنوات العشر الأولى قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة.

يمكن تقسيم تطبيقات التربية الأمنية في السيرة النبوية قبل الهجرة إلى الآتي:

أولاً– مرحلة الدعوة السرية:

إنَّ الدارس بموضوعية لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم يجد أن الجانب الأمني بدا واضحاً وجلياً في المراحل الأولى للدعوة الإسلامية فظهر ذلك في اختياره لمن دعاهم من حيث توفر الصفات الحسنة، مثل الصدق، والعدل، والمروءة، والاستقامة لأنهم هم من يقع عليهم عبء الدعوة والاضطلاع بمسؤولياتها، فكان أن آمن به بداية أهل بيته: زوجه خديجة بنت خويلد، وابن عمه علي بن أبي طالب الذي تكفَّل بتربيته، ومولاه زيد بن ثابت، وحاضنته أم أيمن.

هيأ الله تعالى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تهيئة نفسية لتحمل رسالة الإسلام من خلال اعتكافه واعتزاله للناس في غار حراء في مكة من قبل ثلاث سنوات من بعثته، فكان يقضي شهراً كاملاً من السنة متعبداً فيه، ثم نزل عليه جبريل بالوحي من الله تعالى وأقرأه الآيات الخمس الأولى من سورة العلق (فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: زملوني، زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة: مالي، وأخبرها الخبر، لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا، والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلَّ، وتُكسب المعدوم وتُقري الضيف، وتُعين على نوائب الدهر، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، ابن عم خديجة وكان امرؤ تنصَّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم! اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل على موسى، يا ليتني فيها جذعاً وأكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو مخرجيَّ هم! قال: نعم. لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً. ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي). (البخاري، ج١، ١٩٩٢، ٣٢٧).

من هنا يظهر أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد أحسن الاختيار حين بدأ بإخبار زوجه السيدة خديجة رضي الله عنها – كانت أعزَّ نساء قريش نسباً وأعلاهنَّ مكانة – والتي سعت منذ البداية إلى تطمين زوجها الرسول صلى الله عليه وسلم، فذكَّرته أولاً بصفاته وأخلاقه الرفيعة، وثانياً ذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل والذي هو محل ثقتها لما عُرِف عنه من تدينه بالنصرانية، حيث يستشف من ذلك أن السيدة خديجة بحكم صلتها المباشرة بزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم كانت تلاحظ تدينه واتصافه بمكارم الأخلاق، ومن الملاحظات المهمة فيما جرى بين السيدة خديجة وابن عمها ورقة وحتى تتحرى منه الأمر من كافة جوانبه أنها خاطبته بقولها: يا ابن عم، واسمع من ابن أخيك ولم تقل محمداً. وهذا مما يضفي مزيداً من التقدير لورقة مما يدفعه للحديث بصراحة وصدق فيما جرى لزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو ما دعا ورقة إلى إخباره بأنَّ الذي أتاه في الغار هو الملك الذي أتى لموسى عليه السلام، وبأنَّه كذلك رسول من عند الله، وكل هذا يدل على حسن تصرف السيدة خديجة في هذا الموقف العصيب الذي وجد الرسول صلى عليه نفسه فيه، وكان نتيجة ذلك الحوار إضفاء الأمن والاطمئنان عليه.

يمكن القول إجمالاً في مرحلة الدعوة السرية أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم، راعى أهمية الجانب الأمني خاصة وأنَّه لا يمكن لقريش أن تقبل بالإسلام ديناً من أول وهلة، وربما فكرت في طريقة ناجعة للتخلص من الرسول صلى عليه وسلم قبل أن يشتهر أمره.

إنَّ في إسلام أهل بيت الرسول صلى عليه وسلم تحقيق ما يعرف أمنياً (تأمين الجبهة الداخلية)، خاصة وأنَّ دين الإسلام جاء على نقيض ما كانت تدين به قريش من الشرك بالله تعالى، والصفات الجاهلية المذمومة، وستأتي الإشارة إلى ما قام به علي بن أبي طالب وزيد بن ثابت رضي الله عنهما في سبيل نصرة الإسلام لاحقاً في هذه الدراسة، ثم دعا الرسول صلى عليه وسلم صاحبه أبا بكر الصديق الذي كان معروفاً بحسن أخلاقه ومرؤوته مما ساهم في استقطاب خيار أهل قريش الذين أتوا بآخرين على شاكلتهم.

ثانياً– مرحلة الدعوة الجهرية:

بعد أن جمع الرسول صلى الله عليه وسلم حوله أهل بيته وخيار الناس في مجتمعه في فترة الدعوة السرية التي امتدت لثلاث سنوات، بدأ في دعوة الناس عامة على مرأى ومسمع قريش والتي لم تقبل هذا الأمر، وسعت إلى صد أهل مكة عن اعتناق الإسلام بكل الطرق والأساليب، ولما لم يكن ممكناً تعليم المسلمين الأوائل في مكان عام اختار الرسول صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبي الأرقم مكاناً لشرح تعاليم الإسلام، ووضع الخطط المناسبة لنشر الدعوة وإعدادهم لمقبل الأيام، وفي اختيار هذه الدار – أول مدرسة في الإسلام – تتجلى التربية الأمنية التي انتهجها الرسول صلى عليه وسلم في أظهر صورها للأسباب الآتية:

١/ وقوعها في جبل الصفا مما جعلها بعيدة عن المراقبة مع صعوبة رصد ومراقبة حركة الداخلين إليها والخارجين منها.

٢/ لم يكن أمر إسلام الأرقم مشهوراً في قريش، إضافة إلى أنَّ الأرقم كان صغيراً في السن إذ لم يتجاوز عمره السنة السادسة عشرة، مما لا تتوقع معه قريش اجتماع المسلمين في منازل الصغار.

٣/ قبيلة الأرقم هي بني مخزوم التي كانت في حالة عداوة مع قبيلة بني هاشم قبيلة الرسول صلى الله عليه وسلم، فلا ينصرف تفكير المشركين إلى تعقب المسلمين في دار الأرقم.(الغضبان، ٢٠١٠، ٤٩).

٤/ كانت عملية الدخول والخروج إلى هذه الدار تتم وفق أسلوب أمني دقيق، مما ساعد في سرية مقرها ويظهر هذا في مواقف عدة، أولها: عندما أخذت أم جميل وهي من المسلمات الأوائل سيدنا أبا بكر رضي الله عنه – عندما ضربته قريش حتى أشرف على الموت – وأمه أم الخير وهي حينئذٍ مشركة لمقابلة الرسول صلى الله عليه وسلم في دار الأرقم، قال ابن كثير: فأمهلتا (أم جميل وأم الخير) حتى إذا هدأت الرِّجل وسكن الناس خرجتا يتكئ عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله صلى عليه وسلم).(ابن كثير، ج١، د.ت، ٣٠). ثانيها: أنَّ عمر بن الخطاب – قبل أن يسلم – لم يعرف مكان الرسول صلى الله عليه وسلم إلاَّ بعدما أخبرته أخته فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنها.ثالثها: عندما أراد سيدنا علي رضي الله عنه أخذ أبا ذر الغفاري لمقابلة الرسول صلى الله عليه وسلم، لإعلان إسلامه حيث اتفقا على طريقة معينة

للذهاب لدار الأرقم إن لاحظا أنَّ أحداً يراقبهما، حيث قال علي لأبي ذر: إن رأيت أحداً أخافه عليك قمت إلى الحائط كأنِّي أصلح نعلي، أو كأنِّي أريق الماء فامض أنت).(ابن هشام، ج١، ١٩٩٢، ٢١٧).

٥/ وجود تأمين كامل لباب الدار وهذا يظهر بوضوح في قصة إسلام سيدنا عمر رضي الله عنه، والذي عندما طرق باب الدار لم يُفتح له على الفور، حتى أُخبِر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك.(ابن الأثير، ج٣، د.ت، ٨٦).

تكوين جماعات دعوية صغيرة:

تأميناً للدعوة الإسلامية في بدايتها وحرصاً على حفظ أرواح المسلمين الأوائل، حرص الرسول صلى الله عليه وسلم، على تكوين مجموعات محدودة العدد، منعاً لتسرب المعلومات من جهة، وسهولة الحصول على مقر آمن من جهة ثانية، ومنعاً لإثارة الشبهات ولفت النظر من جهة ثالثة، واتبع الرسول صلى الله عليه وسلم تدابير أمنية محكمة تمثلت في الآتي:

١/ إرسال الدعاة إلى الأسر في بيوتها لتعليمها ووصلها بجماعة المسلمين، وهذا واضح في إرسال الرسول صلى الله عليه وسلم خباب بن الأرت رضي الله عنه، لتعليم صهر عمر بن الخطاب سعيد وأخته فاطمة رضي الله عنهما.

٢/ توجيه الصحابة الكرام لأداء الصلاة في جماعات صغيرة، وفي أوقات متفرقة وفي أماكن سرية، لأنَّ غير ذلك يؤدي إلى عواقب لا تُحمد عقباها، يقول ابن اسحاق:(إنَّ رسول صلى الله عليه وسلم خرج إلى شعاب مكة وخرج معه علي بن أبي طالب وفي رواية خديجة مستخفياً من أبيه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه فيصليان). (ابن هشام، ج١، ٢٤٧).

٣/ إمعاناً في حماية ضعفاء المسلمين – على الرغم من معرفتهم بما يصيبهم من أذى المشركين – قام الرسول صلى عليه وسلم بتوزيع هؤلاء الفقراء والضعفاء على من له قوة ممن أسلم ليقيموا معه في بيته.(برهان الدين، ج١، ١٩٩٧، ٣٥٨). وذلك حتى لا يكون الفقر والضعف من دواعي عدم الدخول في الإسلام، وهذه طريقة فذة في تأمين الدعوة.

تطبيقات التربية الأمنية عند الصحابة:

استخدم الصحابة الأوائل رضي الله عنهم، أساليب وطرقاً تأمينية عديدة أسهمت بشكل كبير في نشر الدعوة الإسلامية منها:

١/ عندما اعتدى المشركون على سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حتى أوشك على الموت، طلب من أمه أم الخير – قبل إسلامها – أن تذهب إلى أم جميل لتُعلمها بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى يطمئن عليه (فخرجت أم الخير حتى أتت أم جميل، فقالت إنَّ أبا بكر يسألك عن محمد بن عبدالله. فقالت أم جميل: ما أعرف أبا بكر ولا محمداً بن عبدالله. وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك فعلت.قالت: نعم.فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعا دفناً وثقيل المرض يشرف على الموت، فدنت أم جميل وأعلنت الصياح، وقالت: والله إنَّ قوماً نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر وإنِّي لأرجو الله أن ينتقم منهم، قال: فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت: هذه أمك تسمع، قال: فلا شئ عليك منها، قالت: سالم صالح.قال: أين هو؟ قالت: في دار الأرقم.قال: فإنَّ لله عليَّ ألا أذوق طعاماً ولا شراباً أو آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمهلتا حتى إذا هدأت الرِّجل وسكن الناس خرجتا يتكئ عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله صلى الله عليه وسلم).(ابن هشام، ج١، ١٩٩٢، ٢٣٤).

يمكن الخروج بعدة وسائل وأساليب أمنية استخدمتها أم جميل رضي الله عنها، لتحافظ على حياة قائد الدعوة منها:

أ / الإنكار عندما سُئلت عن مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ب/ إيصال المعلومة – مكان وجود رسول الله صلى الله عليه وسلم – باستغلال الحالة المرضية الحرجة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، بقولها لأم الخير: (إن كنت تحبين)، (إلى ابنك)، مما يحرك عاطفة الأمومة في الاتجاه الإيجابي.

ت/ كسب ود العدو وذلك حين صرخت أم جميل بأعلى صوتها، وفي نفس الوقت تعنيفها ولومها لمشركي قريش بصورة عامة والذين اعتدوا على سيدنا أبي بكر رضي الله عنه.

ث/ التريث في النطق بالمعلومة، فأم جميل أرادت أن تتأكد من عدم إفشاء سر مكان الرسول صلى الله عليه وسلم من طرف أم الخير، لذلك كان ترددها حين سألها أبو بكر الصديق رضي الله عنه، حتى قال لها: لا عليك منها.

ج/ اختيار الوقت المناسب لتنفيذ المهمة، حيث أنَّ أم جميل لم تذهب بأبي الصديق لدار الأرقم بل تأخرت إلى حين انعدام الرقابة من قبل العدو.

٢/ عندما خرج عمر بن الخطاب حاملاً سيفه يريد قتل الرسول صلى الله عليه وسلم، (قال أبونعيم: أين تريد يا عمر؟ قال: أريد محمداً هذا الصابئ الذي فرَّق أمر قريش، وسفَّه أحلامها، وعاب دينها، وسبَّ آلهتها فأقتله. قال: والله قد غرتك نفسك من نفسك يا عمر، أترى عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ قال: وأي أهل بيتي؟ قال: ختنك وابن عمك سعيد بن زيد واختك فاطمة بنت الخطاب، فقد والله أسلما وتابعا محمداً على دينه).(ابن الجوزي، ٢٠١٢، ٢٣١).

يلاحظ أنَّ نعيماً بن عبد الله رضي الله عنه، استخدم أساليب أمنية صحيحة أفضت إلى سلامة قائد الدعوة أولاً، وإسلام عمر بن الخطاب منها:

أ/ إخفاء الشخصية عن العدو، حيث لم يعرف سيدنا عمر أنَّ نعيماً قد أسلم، وذلك عندما قال له نعيم: محمد ولم يقل رسول الله، علماً أنَّ الصحابة رضي الله عنهم كانوا ينادونه برسول الله.

ب/ الحصول على المعلومات من العدو، فسيدنا نعيم رضي الله عنه تحصل على معلومة مهمة حين قال لسيدنا عمر: أين تريد ؟.

ت/ صرف العدو عن تحقيق أهدافه، وذلك بعد أن علم سيدنا نعيم أنَّ عمراً يريد قتل الرسول صلى الله عليه وسلم، قام بتهديده أولاً بانتقام بني هاشم منه إن فعل ذلك، وثانياً حين أخبره بإسلام أخته وابن عمه، وهو ما ألجأ عمراً إلى الذهاب إليهما في بيت أخته.

ث/ اختفاء سيدنا خبَّاب بن الأرت رضي الله عنه عندما سمع بقدوم عمر لبيت أخته، واختفاء (خبَّاب رضي الله عنه لم يكن عن جبن أو خوف بل هو تصرف أمني تمليه ظروف الزمان والمكان ويتطلبه الموقف، فإذا وجد سيدنا عمر خباباً مع سعيد وفاطمة فإنَّ هذا يؤدي إلى كشف معلومة خطيرة وبالغة الأثر على سير الدعوة).(سنة، ٢٠١٦، ٧).

ج/ إخفاء الأثر، حين دخل عمر إلى بيت أخته فاطمة قامت بإخفاء الصحيفة التي بها سورة طه.

ح/ الحديث بصوت منخفض أثناء التدريس، ويظهر ذلك حين سمع عمر قراءة القرآن الكريم، لكنه لم يتبينها بصورة واضحة فوصفها بالهيمنة وهي الصوت غير المفهوم.

خ/ استثمار الفرصة لكسب ود العدو، فحينما ضرب عمر أخته فاطمة في وجهها حتى سال منه الدم رقَّ لحالها وطلب منه الصحيفة ليقرأ ما فيها، ولكنَّها رفضت إلا بعد أن يغتسل، وفي هذه اللحظة خرج خبَّاب رضي الله عنه مستغلاً هذا الموقف قائلاً: أبشر يا عمر، والله إنِّي لأرجو أن يكون الله خصك بدعوة نبيه، فإنِّي سمعته يقول: اللهم أيِّد الإسلام بأحد العمرين عمر بن الخطاب أو الحكم بن هشام).(ابن الجوزي، ٢٠١٢، ٢٣٧).

ثالثاً– الهجرة إلى الحبشة:

حينما لم يكف مشركو قريش عن التضييق على المسلمين وتعذيبهم، وبث الرعب في نفوسهم، أمر الرسول صلى عليه وسلم أصحابه رضي الله عنهم بالهجرة إلى الحبشة مرتين قائلاً: لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإنَّ فيها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم مخرجاً مما أنتم فيه).(ابن هشام، ج١، ١٩٩٢، ٣٢٢). وفي الهجرة الثانية صعب على المشركين أن يجد المسلمون الأمان، وحسن الجوار عند النجاشي، فحاولوا أن يعيدوهم إلى مكة، فاختاروا وفداً لهذه المهمة برئاسة أفضل رجالهم دهاء ومكراً– عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة قبل إسلامهما وأرسلوا معهما هدايا قيمة للنجاشي وحاشيته وعندما (قابلا النجاشي قالا له: أيها الملك، إنَّه قد ضوى إلى بلدك غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليكم فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه، فأمَّن البطارقة على قولهما، وطلبوا من النجاشي رد المسلمين إلى بلادهم، لكن رأى النجاشي أن يسمع رد المسلمين فدعاهم، وقال لهم النجاشي: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا به في ديني ولا دين أحد من هذه الملل ؟ قال جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه: أيها الملك كنَّا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسئ الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنَّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنَّا نعبد نحن وآباؤنا من

دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، فعدَّد إليه أمور الإسلام، فصدقناه، وآمنا به واتبعناه على ما جاءنا به من دين، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيَّقوا علينا، ، وحالوا بيننا وبين ديننا، فخرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك، فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شئ ؟ فقال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي: فاقرأه عليَّ، فقرأ عليه صدر سورة مريم، فبكى النجاشي حتى أخضلت لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا على مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال لهم النجاشي: إنَّ هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما).(ابن هشام، ج١، ١٩٩٢، ٤١٥). وكان أن قد خرج في هذه الهجرة اثنا عشر رجلاً وأربع نسوة.

ويمكن الخروج من اختيار الحبشة مكاناً للهجرة بتطبيقات تربوية أمنية، طبَّقها الرسول صلى الله عليه وسلم ورئيس وفد المسلمين جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه هي:

أ/ إنَّ أهل الحبشة أهل كتاب دينهم النصرانية، وهذا أدعى إلى فهم ظروف لجوء المسلمين إليهم، فمصدر الرسالات السماوية واحد مصداقاً لقوله تعالى: (وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) سورة المائدة الآية ٨٣.

ب/ وجود ملك عادل بالحبشة، ووضح عدله هذا عندما استمع إلى وفدي المسلمين والمشركين كلٌ على حدة.

ت/ خروج المسلمين – فرادى وجماعات – سراً وتسللاً من مكة إلى الحبشة.

ث/ قدم رئيس وفد المسلمين جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه دفوعات قوية في مواجهة مرافعة رئيس وفد قريش عمرو بن العاص أمام النجاشي حينما أرادت قريش إرجاع المسلمين إلى مكة، ويتمثل الجانب الأمني الذي اتبعه جعفر بن أبي طالب في الآتي:

١/ إظهار محاسن الإسلام بصورة جلية تدفع إلى استحسانها.
٢/ وصف عيوب الجاهلية وعرضها بصورة تُنفِّر منها السامع.
٣/ اختياره لقراءة سورة مريم للنجاشي عندما طلب منه أن يقرأ له شيئاً مما جاءهم به الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذه السورة الكريمة بها حديث عن مريم وابنها عيسى عليهما السلام، وكفالة زكريا عليه السلام لها وولادتها لابنها عيسى عليه السلام.
٤/ لم يَسب ويُقلِّل سيدنا جعفر رضي الله عنه، من شأن المشركين كما فعل عمرو بن العاص بوصفه للمهاجرين إلى الحبشة بالغلمان السفهاء.
٥/ أوضح سيدنا جعفر رضي الله للنجاشي أنهم فضَّلوا الحبشة على غيرها من البلاد، واختاروه على من غيره من الحكام، وهذا الأسلوب مما ترتاح له نفس المخاطَب، ولعلَّ هذا ما جعل النجاشي ينحاز إليهم.

على المسلم دائماً إن اضطرته الظروف إلى الهجرة إلى بلاد أخرى، أن يحسن تعامله مع أهل تلك البلاد، وأن يحترم قوانينها، وأن يحرص دائماً على ملازمة محاسن الأخلاق، وأن يرى في نفسه سفيراً لبلده، لأنه سيكون موضع رقابة من أهل تلك البلاد.

رابعاً– مرحلة الدعوة خارج مكة:

عندما لم تستجب قريش لدعوة الإسلام عمدت إلى استعمال شتى أساليب التعذيب والاضطهاد ضد المسلمين بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك حين حرَّضوا القبائل التي كانت تأتي للحج، وحذروها من مغبة الاستجابة والاستماع للرسول صلى الله عليه وسلم، فما كان منه إلا أن فكَّر في الدعوة خارج مكة عله يجد من يؤمن به، فاختار الطائف لأسباب أمنية عدة منها:

أ / قرب الطائف من مكة إذ لا تتجاوز المسافة بينهما ستين ميلاً تقريباً.
ب/ قربها من أخواله بني سعد، إذ إنَّه صلى الله عليه وسلم رضع من حليمة السعدية.
ت/ يوجد بالطائف صنم اللات، مما يجعلها المدينة الدينية الثانية بعد مكة.

قطع الرسول صلى الله عليه وسلم تلك المسافة سيراً على الأقدام ذهاباً وإياباً، وبرفقته مولاه زيد بن ثابت رضي الله عنه، حيث مكثا بها عشرة أيام، ودعا الرسول صلى الله عليه وسلم في الطريق كل من قابله، فلم يستجب له أحد، وعندما دخل الطائف بدأ بدعوة رؤساء قبائلها فلم يستجيبوا له كذلك، فقال

لهم(إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني).(ابن هشام، ج١، ١٩٩٢، ٣٩٠).لكنهم حرَّضوا عليه صبيانهم وعبيدهم فرموا الرسول صلى الله عليه وسلم، بالحجارة حتى سال الدم من رجيله، فرجع إلى مكة حزيناً كسير النفس، وتوقف بغار حراء وبعث برجل من خزاعة إلى نفر من أهل مكة ليجيروه فرفضوا، وأخيراً أجاره المطعم بن عدي، فدخل مكة وطاف بالبيت ثم دخل بيته.

من ذهابه للطائف يمكن الخروج بالتطبيقات التربوية الآتية:

أ/ الاختيار الموفق في الذهاب إلى الطائف للأسباب آنفة الذكر.

ب/ سيره صلى الله عليه وسلم على الأقدام جيئة وذهاباً، وهو ما لم يُثِر الشبهة والشك من جانب قريش، فلو خرج بأي وسيلة أخرى لعلمت قريش، مما يترتب عليه من مخاطر لا يُحمد عقباها.

ت/ اختياره صلى الله عليه وسلم مولاه زيد بن ثابت رضي الله عنه، لمرافقته للطائف، وهنا لا ينصرف الذهن في أنَّه صلى الله عليه وسلم، يريد الخروج للطائف لنشر الدعوة الإسلامية.

ج/ استهلاله صلى الله عليه وسلم دعوة زعماء الطائف من قبيلة ثقيف.

ح/ لم يدخل الرسول صلى الله عليه وسلم مكة فوراً بعد عودته من الطائف، بل انتظر بغار حراء حتى أمَّن جواره عند المطعم بن عدي، فإذا دخلها مباشرة لوجد نفسه في مواجهة مباشرة مع مشركي قريش.

خ/ استفادته صلى الله عليه وسلم من قوانين وأعراف الجاهلية حينما أراد الدخول إلى مكة من خلال طلبه للجوار والحماية وهو عُرف معمول به في الجاهلية.

د/ إرساله صلى الله عليه وسلم، لرجل من خزاعة ليؤمن له الجوار فيه جانب أمني كبير، فإذا أرسل مولاه زيد بن ثابت رضي الله عنه، لعرف مكانه مشركو قريش وبالتالي تعرضه للخطر من جهة، ولما وجد من يجيره بمكة.

ذ/ لجوء الرسول صلى الله عليه وسلم لربه بالدعاء– وهو من أقوى تدابير الأمن – لعدم استجابة أهل الطائف لدعوته (اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن عليَّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن ينزل بي

غضبك، أو يحل عليَّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك). (ابن هشام، ج١، ١٩٩٢، ٤٢٧).

دعوة القبائل والأفراد:

لم ييأس الرسول صلى الله عليه من تبليغ دعوة الإسلام، رغم كل الصعاب والعراقيل التي وضعها مشركو مكة في سبيل ذلك، فبدأ في دعوة قبائل عديدة منها: بنو عامر بن صعصعة، وفزارة، وغسان، وحنيفة، وسليم، وعبس، وبنو نصر، وحرة، فلم يستجب منها أحد.(ابن سعد، ج٢، ١٩٩٢، ٢١٦). كما عرض دعوته على بعض الأفراد وبطريقة شخصية، فحصل على وعود من بعضهم، وآمن به آخرون من يثرب وعددهم ستة أفراد منهم أبو ذر الغفاري، واثنان من اليمن، واستخدم في دعوته للقبائل والأفراد تدابير أمنية محكمة أفضت إلى نتائج إيجابية:

أ/ مقابلة القبائل ليلاً وهذا ما حصل لممثلين من قبيلتي الأوس والخزرج، وتمخض عن هذه المقابلة بيعتي العقبة الأولى والثانية كما سيأتي تفصيله لاحقاً.

ب/ ذهابه للقبائل في أماكنها.

ت/ إصطحابه لأهل الثقة والرأي السديد والسبق للإسلام، مثل علي بن أبي طالب وأبوبكر الصديق رضي الله عنهما، لئلا تظن هذه القبائل أنه وحيد ليس له أعوان، فعلي من أهله وأبوبكر كان على معرفة تامة بأنساب العرب.(ابن كثير، ج٣، د.ت، ٤٢٢).

ج/ كان من عادة الرسول صلى الله عليه وسلم، أن يستوثق من قدرة القبيلة التي آمنت به على حمايته إن دعا الأمر.

بيعتا العقبة الأولى الثانية:

كما ورد سابقاً فإنَّ ستة أفراد من أهل يثرب أسلموا، ووعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، بتيليغ قومهم، وأوفوا بما وعدوا، ففي السنة التالية حضر اثنا عشر رجلاً فيهم خمسة من الستة الأوائل فبايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم، عند جمرة العقبة قبالة منى، وأرسل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير رضي الله عنه ليكون سفيراً له إلى أهل يثرب، ليعلمهم أمور الإسلام، فحقَّق نجاحاً باهراً، حيث جادل أهل يثرب بطريقة حسنة، أثمرت عن إيمان سادة قبيلتي الأوس والخزرج، وكان يقول لكل من يجادله: (أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كف عنا ما تكره).(ابن قيم، ج١، ١٩٩٤، ٢٤٥).

حضر في الموسم التالي للحج بضع وسبعون رجلاً وامرأة من مسلمي يثرب، وجرت اتصالات سرية بينهم وبين رسول الله صلى عليه وسلم، أنتجت اتفاق الطرفين على الاجتماع في وسط أيام التشريق، عند العقبة في الجمرة الأولى مقابل منى، وأن يكون هذا الاجتماع في الليل.

يقول كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه، في وصف بيعة العقبة الثانية: خرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالعقبة من أوسط أيام التشريق، فلما فرغنا من الحج، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها، ومعنا عبدالله بن عمرو بن حرام، ، سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا، أخذناه معنا – وكنَّا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا – فكلمناه وقلنا له: يا أبا جابر إنَّك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا، وإنَّا نرغب بك عما أنت فيه من أن تكون حطباً للنارغداً، ثم دعوناه للإسلام، وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إيانا العقبة، قال: فأسلم وشهد معنا العقبة، وكان نقيباً، قال كعب: فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، نتسلل تسلل القطا، مستخفين، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان من نسائنا: نسيبة بنت كعب أم عمارة من بني مازن بن النجار، وأسماء بنت عمرو أم منيع من بني سلمة، فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب–وهو يومئذ على دين قومه–إلاَّ أنَّه أحبَّ أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثَّق له، وكان أول متكلم. (ابن هشام، ج١، ١٩٩٢، ٤٤٢)، فقال: يا معشر الخزرج –كان العرب يسمون الأنصار خزرجاً، خزرجها وأوسهما كليهما– إنَّ محمداً منَّا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا، ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده، وإنَّه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم أنَّكم وافون له ما دعوتموه له، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنَّكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فدعوه فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده.(ابن هشام، ج١، ١٩٩٢، ٣٨٧)، ثم تمت البيعة على ما هو معروف في السيرة، بعد أن أكَّد الأنصار على نصرتهم لرسول الله صلى عليه وسلم، على كل حال، حيث تعاهدوا كلهم على هذا الأمر.

بعد أن تمت البيعة اختار منهم الرسول صلى الله عليه وسلم، اثني عشر رجلاً ليكونوا هم المسؤولون عن تنفيذ بنود البيعة، وقبل انتهاء مراسم هذه البيعة بقليل، اكتشفها أحد الشياطين وصاح بأعلى صوته: يا أهل الجباجب–المنازل–هل لكم في مُذمَّم والصباة معه؟ قد اجتمعوا على حربكم.(ابن هشام، ج١، ١٩٩٢، ٣٢٤).وحينئذ أمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم، بالإنصراف، وعندما احتجت قريش لدى رؤساء وفد يثرب، أنكروا هذا الأمر لأنهم لم يكونوا شهوداً على هذه البيعة، بفضل الخطة التي وضعها الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل يثرب، ومن هذه البيعة يمكن ملاحظة التدابير الأمنية الآتية:

أ/ تحديد المكان والزمان المناسبين للبيعة.

ب/ كتمان الأنصار لخبر البيعة عن الكافة وحتى المشركين الذين معهم.

ت/ الخروج لمكان البيعة تسللاً بعد مضي ثلث الليل.

ج/ انتهاج الرسول صلى الله عليه وسلم للشورى في أمر البيعة، فقد جرى تفاوض كبير أفضى في النهاية إلى إتمام البيعة، وتبدو هذه الشورى واضحة حين طلب الرسول صلى الله عليه وسلم من الأنصار انتخاب نقباء منهم ليكونوا مسؤولين عن تنفيذ بنود البيعة.

ح/ سرعة التصرف، حين أمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالانصراف عقب اكتشاف الشيطان للبيعة، وكذلك اخفائها عن مشركي يثرب.

خامساً– الهجرة إلى المدينة:

يعتبر عقد بيعة العقبة الثانية أكبر نجاح حققه الرسول صلى الله عليه وسلم، منذ بداية بعثته، حيث ضمن وطناً مناسباً لتمكين الدين، وحينئذٍ أمر أصحابه بالهجرة إلى يثرب، فخرجوا فرادى وجماعات مضحين بأنفسهم وأولادهم وأموالهم.

اختار مشركو قريش – بعد استنفاد كل الطرق واستخدام كل الأساليب لوأد الدعوة الإسلامية، قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، واختاروا لتنفيذ هذه العملية أقوى فرسانهم ليضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه ويتفرق دمه بين القبائل، وعندئذٍ نزل عليه جبريل عليه السلام بالوحي، مُبلِّغاً إيَّاه بالإذن بالهجرة إلى يثرب، وأخبره بمؤامرة قريش.(البخاري، ج١، ١٩٩٢، ٥٥٣)، قالت عائشة رضي الله عنها: بينما نحن جلوس في بيت أبي بكر، في نحر الظهيرة، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، متقنعاً، في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر:

فداء له أبي وأمي، والله ما جاء في هذه الساعة إلاَّ لأمر، قالت:فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستأذن، فأُذِن له، فدخل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر:أخرج من عندك.فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله، قال: فإني قد أُذن لي بالخروج.فقال أبو بكر: الصحبة بأبي أنت وأمي يا رسول الله.قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم. (ابن هشام، ج١، ١٩٩٢، ٣٢٧).

يمكن استخلاص التطبيقات الأمنية الآتية من الهجرة:

أ/ اختيار الوقت المناسب لتبليغ أبي بكر الصديق رضي الله عنه، بأمر الهجرة حيث ذهب إليه الرسول صلى الله عليه وسلم، في منتصف النهار وهو وقت تقل فيه الحركة، خاصة وأنَّ مكة معروفة بارتفاع درجة الحرارة.

ب/ إخفاء الشخصية، حيث جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، مغطياً وجهه.

ت/ الاحتياط والتثبت قبل النطق بالمعلومة، وذلك عندما طلب الرسول صلى الله عليه وسلم، من أبي بكر إخراج من في بيته.

ج/ استخدام الرسول صلى الله عليه وسلم، للتمويه حين أمر ابن عمه علي رضي الله عنه المبيت على فراشه ليلة الهجرة.

ح/ تجهيز أبي بكر الصديق رضي الله عنه، لوسيلة السفر منذ وقت مبكر.

خ/ التخطيط المحكم للخروج من مكة، ويتبدى ذلك في الآتي:

١/ اختيار غار ثور مكاناً للتخفي، والذي يقع جنوب مكة، بينما يقع الطريق المعروف المؤدي إلى المدينة شمال مكة.

٢/ اختيار التوقيت المناسب للخروج من مكة بعد منتصف الليل.

٣/ السير على الأقدام حتى بلوغ الغار.

٤/ اختيار أبو بكر الصديق رضي الله عنه، لبعض الأفراد من أسرته لتنفيذ مهام في غاية الأهمية كالآتي:

- التزود بالطعام في الغار، ونفذت هذه المهمة باقتدار أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما.
- تتبع ونقل أخبار قريش، وأداها بامتياز ولده عبدالله.
- إخفاء الأثر، وذلك بالسير بالغنم على آثار أقدام أسماء وعبدالله رضي الله عنهما.

٥/ اختيار عبدالله بن أريقط –وهو يومئذٍ مشرك وكان خبيراً بالطرق– ليكون دليلاً لتوصيلهما إلى المدينة.
٦/ اختيار الطريق المناسب المؤدي للمدينة، حيث سلكت الرحلة المباركة اتجاه جنوب مكة ثم إلى الغرب نحو ساحل البحر، وهذا الطريق لم يكن معروفاً للكثير من الناس.
٨/ سرعة السير بعد الخروج من الغار.
٩/ استخدام سيدنا أبي بكر رضي الله عنه – الذي كان معروفاً للعرب – للتورية، حيث كان يمر بالقوم فيقولون: من هذا الذي بين يديك؟ فيقول:هذا الرجل يهديني الطريق.(ابن كثير، ج٣، د.ت، ١٢٧).
١٠/ قلة عدد ركب الهجرة، حيث تكون الوفد من ثلاثة أفراد:الرسول صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه، وعبدالله بن أريقط، وهذا العدد في الغالب لا يسترعي الانتباه والاشتباه.

هذه بعض الإضاءات والملامح العامة للتربية الأمنية وتطبيقاتها في السيرة النبوية في فترة ما قبل الهجرة إلى المدينة، والتي كما تبين أنها حققت أهدافها الكلية، متمثلة في تثبيت دعوة الإسلام على الرغم من فارق الإمكانات، والموارد، والعلاقات الخارجية، التي كانت لصالح مشركي قريش في كل الأحوال والظروف، ومرد كل هذا النجاح الذي حققته الدعوة الإسلامية منذ بداياتها، يرجع إلى أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم، كان قدوة لأصحابه في حسن التدبير، والتخطيط المثالي في كل شؤون حياته، كما أنَّ شعور الصحابة رضوان الله عليهم بالمسؤولية أسهمت هي الأخرى في تحمل أعباء نشر الإسلام، مما قادهم إلى الإقتداء بقائد الدعوة خاصة في تحري استخدام وسائل وأساليب الحيطة والحذر.

من الأهمية بمكان الإقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم، وصحابته الكرام في موضوع التربية الأمنية، خاصة بعد أن أصبح للأمن الأهمية القصوى في بقاء أو زوال الحضارات، حيث أصبح للأمن نظرياته ومدارسه وأجهزته الخاصة، كما أصبح توفير المعلومات جزء مهماً من التخطيط الاستراتيجي، وهنا لابد للمسلمين من إعطاء هذا الأمر الاهتمام الكافي، حتى يمكن للأمة الإسلامية أن تعيد مجدها وعزها.

النتائـــج:

خرجت الدراسة بأهم النتائج الآتية:

١/ اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم تدابير واحتياطات حسب الموقف المحدد مما أسهم في تثبيت دعائم الدين الإسلامي في مكة معقل أعدائه كفار قريش رغم فارق الإمكانات.
٢/ استفاد الرسول صلى الله عليه وسلم من كل أعراف وقوانين المجتمع الجاهلي في كل ما يحقق أهداف الإسلام.
٣/ اهتمامه صلى الله عليه وسلم بأصحابه وحرصه على حياتهم، وتعليمهم أمور دينهم في أماكن مناسبة لظروف الدعوة في فترتها السرية.
٤/ كل التدابير والاحتياطات التي مارسها المسلمون في مكة تدل على تأسيهم بقائدهم ومعلمهم الرسول صلى الله عليه وسلم.
٥/ حِرص الصحابة رضي الله عنهم على نجاح الدعوة الإسلامية، باذلين في ذلك أنفسهم وأموالهم.
٦/احترام الصحابة الكرام الذين هاجروا إلى الحبشة لأهلها، وحسن مخالطتهم لأهلها، واحترام قوانينها، واتصافهم بمكارم الأخلاق.
٧/ من أهم دواعي نجاح الدعوة الإسلامية في عهدها الأول إنزال الناس منازلهم، وتقدير تضحياتهم وبذلهم لما يملكون من جهدهم وأموالهم.

التوصيات:

١/ التواصل مع الصالحين من الناس، واختيار الأصدقاء منهم.
٢/ أن يتوخى الإنسان الحذر والحيطة عند التعامل مع الناس لتحقيق المصلحة العامة.
٣/ أن يحرص المسلم على تعلم أمور دينه بالطريقة الصحيحة ومن الجهات المعروفة والمعتمدة من الجهات الرسمية.
٤/ أن يحسن الإنسان المسلم التصرف في المواقف الحرجة لئلا يقع فيما لا تحمد عقباه.
٥/ احترام المسلم لقوانين البلاد التي يسافر للعمل فيها أو الهجرة إليها مع التزامه الكامل بمحاسن الأخلاق.
٦/أن يضع المسلم خطة واضحة المعالم لحياته في كافة مراحلها، وفي كل شؤونها بقدر الإمكان، فتحديد الأهداف يمكِّن من اختيار الوسائل المناسبة.

٧/ انتهاج الشورى والتواصل مع أهل العلم والرأي السديد في كل أمور الحياة بداية من الأسرة والأهل ثم الأولى فالأولى وهكذا.
٨/ تضمين المناهج في المراحل التعليمية كافة مقررات دراسية من السيرة النبوية في الدول الإسلامية.
٩/ عقد دروس تعليمية بالمساجد من قبل متخصصين معتمدين في السيرة النبوية.
١٠/ إبراز الجانب العملي التطبيقي في السيرة من خلال المحاضرات والندوات.
١١/ التركيز على فقه السيرة بما يقود إلى الاستفادة من دراستها.
١٢/ تخصيص جائزة سنوية لبحوث ودراسات السيرة النبوية في الدول الإسلامية.
١٣/ إجراء دراسات وبحوث في جانب الأمن بمفهومه الشامل في السيرة النبوية.
١٤/ تخصيص برامج دراسات عليا بدرجاتها المختلفة بالجامعات ومراكز البحوث في مجال التربية النبوية.

المصادر والمراجع

ابن الأثير، محمد بن عزالدين، الكامل في التاريخ، دار بيروت للطباعة، بيروت، د.ت.

ابن الجوزي، عبدالرحمن، تاريخ عمر بن الخطاب، مطبعة التوفيق الأدبية، القاهرة، ٢٠١٢م.

ابن قيم، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في خير هدي العباد، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ١٩٩٤م.

ابن سعد، محمد، الطبقات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.

ابن كثير، محمد بن اسماعيل، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، د.ت.

ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٤م.

ابن هشام، عبدالملك، السيرة النبوية، دار الخير، بيروت، ١٩٩٢م.

البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٢م.

الزهراني، هاشم بن محمد، الأمن مسؤولية الجميع، رؤية مستقبلية، ورقة عمل مقدمة لندوة المجتمع الآمن، كلية الملك فهد الأمنية، الرياض، ٢١-١٤٢٥/٢/٢٤هـ.

السلطان، فهد بن سلطان، الندوة العلمية (الأمن مسؤولية الجميع)، الأمن العام، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١١-١٤٢٤/١/١٤هـ.

الغضبان، منير محمد، المنهج الحركي للسيرة النبوية، مكتبة المنار، بيروت، ٢٠١٠م.

المنشاوي، محمد، رأي الجمهور في الشرطة المجتمعية، ورقة عمل مقدمة لندوة مفهوم الشرطة المجتمعية، أكاديمية شرطة دبي، بالتعاون مع جامعة نايف العربية، ١٥-١٤٢٦/٨/١٨هـ.

برهان الدين، علي، السيرة الحلبية، المطبعة الزهرية، بيروت، ١٩٩٧م،

سنة، ناصر أحمد، www.Saaid.net.28-3-2010